

مجمع الأمثال

1546 - رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ .

يروى هذا المثلُ لِلْأُقْمَانِ بْنِ عَادٍ وذلك أنه أقبل ذاتَ يومٍ فبينا هو يسير إذ أصابه عَطَشٌ فهِجَمَ عَلَى مِطْلَاسَةٍ فِي فَنَائِهَا امْرَأَةٌ تُدَاعِبُ رَجُلًا فَاسْتَسْقَى لِقْمَانٌ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : اللَّيْنُ تَبْغِي أُمَّ الْمَاءِ ؟ قَالَ لِقْمَانُ : أَيُّهُمَا كَانَ وَلَا عِدَاءَ فَذَهَبَتْ كَلِمَتُهُ مِثْلًا قَالَتِ الْمَرْأَةُ : أُمَّا اللَّيْنُ فَخَلَّفَكَ وَأُمَّا الْمَاءُ فَأَمَّا مَكَكَ قَالَ لِقْمَانُ : الْمَنْدُوعُ كَانَ أَوْ جَزَّ فَذَهَبَتْ مِثْلًا قَالَ : فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ نَظَرَ إِلَى صَبِيٍّ فِي الْبَيْتِ يَبْكِي فَلَا يُكْتَرِثُ لَهُ وَيَسْتَسْقَى فَلَا يُسْقَى فَقَالَ : إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ فِي هَذَا الصَّبِيِّ حَاجَةٌ دَفَعْتُ مَوَّهُ إِلَيَّ فَكَفَلْتُهُ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : ذَاكَ إِلَى هَانئٍ وَهَانئٍ زَوْجَهَا فَقَالَ لِقْمَانُ : وَهَانئُ مِنَ الْعَدَدِ ؟ فَذَهَبَتْ كَلِمَتُهُ مِثْلًا ثُمَّ قَالَ لَهَا : مَنْ هَذَا الشَّابُّ إِلَى جَنْبِكَ فَقَدْ عَلِمْتُهُ لَيْسَ بِدَعْلُكٍ ؟ قَالَتْ : هَذَا أَخِي قَالَ لِقْمَانُ : رَبِّ أَخٍ لَكَ لَمْ تَلِدْهُ أُمَّكَ فَذَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ نَظَرَ إِلَى أَثَرِ زَوْجِهَا فِي فَتْلِ الشَّعْرِ فَعَرَفَ فِي فَتْلِهِ شَعْرَ الْبِنَاءِ أَنَّهُ أَعْسَرَ فَقَالَ : ثَكَلَتِ الْأَعْيُوسُ أُمَّهُ لَوْ يَعْلَمُ الْعِلْمَ لَطَالَ غَمُّهُ فَذَهَبَ مِثْلًا فَذُوعِرَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ قَوْلِهِ ذَعْرًا شَدِيدًا فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ فَأَبَى وَقَالَ : الْمَبِيتُ عَلَى الطَّوَى حَتَّى تَنْدَالَ بِهِ كَرِيمَ الْمَثْوَى خَيْرٌ مِنْ إِيَّانٍ مَا لَا تَهْوَى فَذَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ مَضَى حَتَّى إِذَا كَانَ مَعَ الْعِشَاءِ إِذَا [ص 292] هُوَ بِرَجُلٍ يَسُوقُ إِبْلَاهُ وَهُوَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ :

رُوحِي إِلَى الْحَيِّ فَإِنَّ نَفْسِي ... رَهَيْنَةً فِيهِمْ بِخَيْرٍ عَرَسَ .
حُسَّانَةَ الْمُقْلَةِ ذَاتُ أَنْسٍ ... لَا يُشْتَرَى الْيَوْمُ لَهَا بِأَمْسٍ .
فَعَرَفَ لِقْمَانُ صَوْتَهُ وَلَمْ يَرَهُ فَهَتَفَ بِهِ :

يَا هَانئُ يَا هَانئُ فَقَالَ : مَا بِالْأُمَّكَ ؟ فَقَالَ :

يَا ذَا الْبِرِّ جَادِ الْحَلَكَةَ ... وَالزَّوْجَةَ الْمُشْتَرَكَةَ .

عِشْ رُوَيْدًا أَبْلُكَه ... لَسْتُ لِمَنْ لَيْسَتْ لَكَ .

فَذَهَبَتْ مِثْلًا قَالَ هَانئُ : زَوْرُ زَوْرٍ أَبُوكَ قَالَ لِقْمَانُ : عَلِيٌّ التَّنْوِيرُ وَعَلَيْكَ التَّغْيِيرُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ نَكِيرٌ كُلُّ امْرِئٍ فِي بَيْتِهِ أَمِيرٌ فَذَهَبَتْ مِثْلًا ثُمَّ قَالَ : إِنِّي مَرَرْتُ وَبِي أُوَامُ وَدُفِعْتُ إِلَى بَيْتٍ فَإِذَا أَنَا بِامْرَأَتِكَ تَغَاظِلُ رَجُلًا فَسَأَلْتُهَا عَنْهُ فَرَعَمَتْهُ أَخَاهَا وَلَوْ كَانَ أَخَاهَا لَجَلَّيَ عَنْ نَفْسِهِ وَكَفَاهَا الْكَلَامَ فَقَالَ هَانئُ : وَكَيْفَ عَلِمْتَ أَنَّ الْمَنْزِلَ مَنْزِلِي وَالْمَرْأَةَ امْرَأَتِي ؟ قَالَ : عَرَفْتُ عَقَائِقَ هَذِهِ النُّوْقِ فِي الْبِنَاءِ وَبُوْهْدَةِ الْخَلِيَةِ فِي الْفِنَاءِ وَسَقَبُ هَذِهِ النَّابِ وَأَثَرُ يَدِكَ فِي الْأَطْنَابِ قَالَ : صَدَقْتَنِي فَرَدَّاكَ أَبِي وَأُمِّي وَكَذَبْتَنِي نَفْسِي فَمَا

الرأي ؟ قال : هل لك علم ؟ قال : نعم بشأني قال لقمان : كل امرئ بشأنه عليم فذهبت مثلاً
قال له هاني : هل بقيت ؟ بعد هذه ؟ قال لقمان : نعم قال : وما هو ؟ قال : تحملي نفسك
وتحفظ عير سأك قال هاني : أفعل قال لقمان : مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ يَجِدِ الْخَيْرَ فذهبت مثلاً
ثم قال : الرأي أن تقلب الظهرَ بَطْنًا وَالْبَطْنَ ظَهْرًا حتى يستبين لك الأمرُ أمراً قال
: أفلا أعاجلُها بِكَيِّسَةٍ توردُها المنيّة فقال لقمان : آخر الدّواء الكَيُّ فأرسلها
مثلاً ثم انطلقَ الرجلُ حتى أتى امرأته فقصَّ عليها القصةَ وسل سيفه فلم يزل يضربها به
حتى بَرَدَتْ